سلسلة كتيبات شبكة بينونة

التَّطرُّف

قديما وأضراره

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فتذلان المزروعي

@Baynoonanet www.baynoona.net
@BaynoonanetUAE

المقال الثامن: التّطرّف قديمًا وأضراره

الحمد لله الكريم المنّان، الرحيم الرحمن، وأشهد أن لا إله إلا الله، أنزل القرآن هدى لبنى الإنسان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جعل الأمة على محجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا أهل العمى والطغيان، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فضمن سلسلة مقالات «**الأمن ومحاربة التطرف والإرهاب**»، يلاحظ أن جميع المقالات السابقة كانت في بيان تقرير الأمن وأسبابه، فكانت في جانب التقرير للحق الذي يجب أن يتبع، وأما المقالات القادمة ففي بيان التّحذير من ضدِّ الحقِّ وهو الباطل وهو التَّطرُّف المضاد للأمن، والتحذير من الباطل بعد تقرير الحقِّ مما يزيد الحق وضوحًا والباطل زهوقًا، وسيكون هذا المقال في بيان عدة قضايا مهمة:

القضية الأولى: معنى التطرف الفكري.

التطرف: يدلُّ أصل معناه على حدِّ الشيء وحرفه، فيقال: تطرَّف جانبًا أي ابتعد إلى الطريق والحد الآخر[١].

---

[١] ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٤٧)، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ١٠٧).

والفكر: جمع أفكار، والأفكار هي التي تصدر عن بني الإنسان سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة.

أما المفهوم الاصطلاحي للتطرف الفكري فهو انحرافات فكريَّة في فهم الدِّين الصحيح، تؤدِّي إلى اعتقادات باطلة وسلوكيات خاطئة، وتصرفات فاسدة.

وقد بينت الأدلة وجود هذه الانحرافات في المسلمين، وأوضح النبي ﷺ أنَّ الأمة ستفترق فقال: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**» وفي رواية قال ﷺ: «**الجَمَاعَة**»[١].

فاثنتان وسبعون فرقة كلُّها فرق متطرِّفة، وجميع التَّطرف الذي حدث في هذه الفرق مرجعه إلى نوعين:

الأول: التطرف المتشدد الغالي.

الثاني: التطرف المتساهل الجافي.

وقد ذكر العلماء أصول هذه الفرق، كما قال ابن أسباط وابن المبارك: «أصول الفرق أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة»[٢].

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكية رحمه الله: «فعن هؤلاء تفترق الأصناف الاثنان وسبعون فرقة التي حذر الرسول منها وذكر أن في أمتهم من تتفرق عليها»[٣].

---

[١] سبق عزوه.

[٢] ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٦٠٢)

[٣] الكتاب الجامع (١٣٩).

ومن المهمِّ هنا التنبه إلى أمر وهو أن جميع أنواع التطرف غير مأمونة؛ بل هي خَطِرة؛ وذلك لأنها تؤثر على عقائد الناس سلبًا، فتولِّد تصرفات وتعاملات منحرفة مضرَّة على الفرد والمجتمع، بل جميع هذه الفرق المتطرفة هي سبب لزعزعة الأمن وذلك من وجهين عامَّين:

الوجه الأول: أنَّ كلَّ فرقة تريد التحزُّب لها والسير على طريقتها مما يحدث الفرقة والاختلافات.

الوجه الثاني: أنها كلها ضدّ السلطان والحاكم، قال أئمة الدين: «أصحاب الأهواء كلهم خوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف»[١].

القضية الثانية: الفكر المتطرّف الغالي قديمًا متجسد في الخوارج.

الحديث في هذا المقال عن تطرُّف خَطِرٍ قديم متجدد وهو فكر الخوارج، وذكر أقدمية هذا الفكر وما بني عليه من عقائد مهمٌّ للغاية؛ حتى يُعرف وصول هذا الفكر إلى بعض الجماعات المعاصرة.

وسيكون الكلام عن الخوارج في الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: التعريف بالخوارج.

الخوارج: هم من خرج عن طريق السُنَّة وخرج على الأئمة[٢].

الفقرة الثانية: عقائد الخوارج.

---

[١] سبق عزوه.

[٢] ينظر: التمهيد (٦/ ٥٥)، المفهم (٣/ ١٠٩) حاشية الدسوقي (١/ ٦٩٨).

قرر العلماء أن الخوارج اجتمعوا على عقائد منها:

١- تكفير مرتكب الكبيرة.

٢- إزالة الحاكم الجائر والخروج عليه بالسيف[١].

وهذا معروف من تاريخ الخوارج وكتبهم.

وهاتان العقيدتان من العقائد الباطلة، وسأقدم الرد عليها بطريق الإجمال ثم يأتي التفصيل -بإذن الله-:

الردُّ الأول: الردُّ على تكفيرهم المسلمين بالكبائر.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه، فقال: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ». [٢]

يقول القاضي عياض رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: «على ما تقدم من أن الذنوب لا توجب التخليد في النار، وأن كل من مات على الإيمان يدخل الجنة حتمًا لكن من له ذنوب في مشيئة الله من معاقبته عليها أو عفوه ثم لا بد له من دخول الجنة». [٣]

---

[١] مقالات الإسلاميين ٨٤، والملل والنحل (١/ ٣٦).

[٢] رواه البخاري كتاب الجنائز باب في الجنائز (١٢٣٧)، ومسلم كتاب الإيمان (٩٤).

[٣] إكمال المعلم (١/ ٣٦٥).

الردُّ الثاني: الرد على عقيدتهم في الخروج على الحاكم الجائر.

يَردّ هذه العقيدة جميع الأدلة السابقة في لزوم الجماعة والنهي عن الخروج على الأئمة وإن كانوا فجارًا.

ومن ذلك ما قاله حذيفة ﷺ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله: إنّا كنّا في الجاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نَعَمْ».

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ».

قلت: وما دخنه؟ قال: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ».

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: « نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا».

قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».[١]

قال ابن بطال رحمه الله: «وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على أئمة الجور، ألا ترى أنه ﷺ وصف أئمةَ زمانِ الشرِّ فقال: (دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا) فوصفهم بالجور

---

[١] سبق عزوه.

والباطل والخلاف لسُنته؛ لأنهم لا يكونون دعاة على أبواب جهنم إلا وهم على ضلال، ولم يقل فيهم: (تعرف منهم وتنكر) كما قال في الأولين، وأمر مع ذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم».[١]

الفقرة الثالثة: أوصاف الخوارج وعلامتهم وطريقتهم في الاستلال على سبيل الإجمال.

وصفت السُنَّة النبوية الخوارج بأوصاف، وكان لهم طرق في الاستدلال بينها العلماء منها:

١- أنهم حدثاء أسنان سفهاء أحلام.

٢- كثرة التعبد والإعجاب بالنفس.

٣- تكفيرهم وقتلهم لأهل الإسلام.

٤- خروجهم حال الفُرقة والاختلاف على خير فِرقة.

٥- الطعن في الصَّحابة والعلماء من بعدهم.

٦- عدم فهمهم للنصوص وتحريفها على أهوائهم.

٧- ترك الأخذ بالسُنَّة الصَّحيحة.

٨- عدم الأخذ بفهم الصحابة ومن سار على نهجهم.

---

[١] شرح البخاري ابن بطال (١٠/ ٣٣).

الفقرة الرابعة: نشأة الخوارج.

يكمن تقسيم نشأة الخوارج إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: نواة الخوارج.

أول نواة الخوارج كانت في عهد النبي ﷺ على يد ذي الخويصرة، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[١].

المرحلة الثانية: عصابة الخوارج.

خرجت الخوارج كعصابة في زمن عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد الثالث المهدي، فقالوا وعلى رأسهم ابن سبأ: «إن عثمان قد جمع أموالًا أخذها بغير حقها وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتستميلوا الناس وادعوا إلى هذا الأمر، فبثَّ دعاة، وكاتبَ من كان استُفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السّر إلى ما عليه رأيُهم، وأظهروا الأمر بالمعروف وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، فكتب أهل كل

---

[١] رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

مصر منهم إلى أهل مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعةً، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يورون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع أهل الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما الناس فيه»[١].

وما عابوا عليه ﷺ لا يخلوا من أن يكون أمرًا صحيحًا له فيها منقبة فقلبها الحاقدون مثلبة، وأمورًا لا يعيب على مثلها إلا من قصد الفتن والفساد، وأمورًا مفتراة عليه، فاستغل الخوارج الثوار هذه الأشياء التي شاعت وانتشرت للتحريض على الخروج على الخليفة الراشد، وجمعوا الجموع وغروا السذج الأغمار بهذه الشبه والمفتريات، ثم توجهوا إلى المدينة قاصدين الحج، وهم يبطنون خلع الخليفة أو قتله، فاجتمع بهم عثمان وذكَّرهم ودفع ما تعلق به القوم من الشبه ووعظهم، وذكَّرهم غيره من الصحابة، إلا أن الأمر قد دبّر بليل والفتنة لا تنطفئ إذا أضرم فتيلها، فأبى الثوار إلا ما أبطنوه، فحاصروا دار عثمان ﷺ أربعين يومًا وزادت المفاوضات بين أمير المؤمنين ﷺ والمحاصرين له، فهم يريدون خلعه بلا موجب، وهو يأبى ذلك لا حرصًا على الإمامة بل لوصية رسول الله ﷺ له حين قال له: «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ لَهُمْ».[٢] فاختار الصبر على هذا العهد ﷺ ولم يأذن لأحد من الصحابة بالقتال معه مع حرصهم الشديد على الدفاع عنه وحمايته، وما ذاك إلا لأنه لا يريد أن يكون أول من يفتح باب سفك الدماء على المسلمين، ولعلمه أن الثوار

---

[١] تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٩).

[٢] سبق عزوه.

إنما يريدونه لا يريدون غيره، فافتدى بدمه لحماية دم المسلمين، واختار أن يكون عبد الله المظلوم، ثم وقع ما وقع ودخل الثوار في أوسط أيام التشريق في صبيحة يوم الجمعة دار الخليفة، وهو ناشر كتاب الله بين يديه يقرأه ويتلوه، فدخل عليه رجل فخنقه ثم أهوى عليه بالسيف فاتقاه عثمان ﷺ بيده فقطع يده، فقال عثمان ﷺ: «**أما والله إنها لأول كفٍّ خطّت المفصل**»[١] فوثبوا عليه وضربه رجل في صدغه[٢] الأيسر فقتله، وكانت قتلته وحشية، حتى إن أبا هريرة ﷺ كان كلما ذكر ما صنع بعثمان ﷺ بكى حتى ينتحب يقول: هاه هاه.[٣]

فقتلوه -قاتلهم الله- واقتحموا ثلاث حرم: حرمة البلد الحرام، والشهر الحرام، وحرمة الخلافة.[٤]

وأنشد حسان بن ثابت:

قتلتم وليّ الله في جوف داره ... وجئتم بأمر جائر غير مهتدِ

فلا ظفرتْ أيمان قوم تعاونوا ... على قتل عثمان الرشيد المسدّدِ.[٥]

فوقعت بقتله مصيبة كبيرة وفتنة عظيمة، حتى قال عبد الله بن سلام: «لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا ينغلق عنهم إلى قيام الساعة»[٦].

---

[١] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٦٨٦).

[٢] الصُّدْغُ: هو ما بين خط العين إلى أصل الأذن. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ٢١٣).

[٣] الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٧٧).

[٤] كما ورد ذلك عن عائشة ﷺ. ينظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٥٤٦).

[٥] ينظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٥٥٠).

[٦] ينظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٥٥١). ينظر: في فتنة مقتل عثمان من مصادر المالكية: كتاب المحن لأبي العرب (٧٥-٨٨)، الاستيعاب لابن عبدالبر (٥٤٦)، تاريخ ابن خلدون (١/ ١٠٢٦-١٠٥٤)، =

المرحلة الثالثة: تكوُّن فرقة الخوارج.

وذلك في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب وذلك بعد قضية التحكيم بين علي ومعاوية ﷺ، فلما اتفق على تحكيم كتاب الله بالحكمين انبرت فرقة الخوارج من جيش علي زهاء أربعة ألف أو ستة من القراء منكرين قبول علي ﷺ للتحكيم، فأخذت الخوارج موقفًا من علي ﷺ وممن رضي بالتحكيم ورفعوا شعار «إن الحكم إلا لله» فقال علي: «كلمة حق أريد بها باطل»[١].

فلما اعتزلت هذه الطائفة أرسل إليهم عليًّا ﷺ ابن عباس حبر الأمة ليناظرهم فرجع منهم ألفان، واجتمع الباقون بالنهروان فقاتلهم علي وأجهز عليهم إلا شرذمة فرّت، منهم: ابن ملجم الذي تعاون مع ثلاث رجال وامرأة من الخوارج فاتفقوا على تدبير مكيدة لقتل علي وعمرو بن العاص ومعاوية ﷺ فدبروا اغتيالهم، وفي شهر رمضان في السابع عشر في يوم جمعة بعد صلاة الفجر عند خروج الخليفة الراشد من الصلاة ضرب ابن ملجم عليًّا بالسيف ثم توفي علي إثر ذلك بعد ثلاثة أيام.

وملخص الفوائد من هذه المراحل مهم فمن الفوائد:

١ - طعن الخوارج في الحكام وولاة الأمر، في رسول الله ﷺ، ثم عثمان ثم علي ﷺ.

= العواصم من القواصم لابن العربي (٥٦-١٤١)، عارضة الأحوذي لابن العربي (١٣/ ١٥٤-١٦٣)، إكمال المعلم القاضي عياض (٧/ ٤٠٩)، المفهم للقرطبي (٦/ ٢٦٥-٢٦٧) الاكتفاء في أخبار الخلفاء (١/ ٤٥٣-٤٧٠)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٠٧١).

وينظر من غير مصادر المالكية : الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٦١-٧٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣١٤-٣٤٦)، كتاب فتنة مقتل عثمان محمد الغبّان.

[١] رواه مسلم كتاب الزكاة (١٠٦٦).

٢- أن منشأ النقد على الحكام والحقد عليهم من أجل الدنيا.

٣- استخدام الإشاعات لتشويه صور الحكام.

٤- عدم الرضا بما يفعله الحكَّام وولاة الأمر وإن كان صوابًا، لمخالفة هواهم.

٥- تلبيس الأمر الشعار الديني كإنكار المنكر ولا حكم إلا له.

٦- السريَّة والتكتم والتلون وإظهار غير ما يسرون.

الفقرة الخامسة: الأضرار التي ترتبت على هذا الفكر قديمًا.

١- الطعن في عدل رسول الله ﷺ.

٢- قتل الخليفة الراشد المهدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٣- بقتله، فُتح باب فتنة عظيم.

٤- تفريق كلمة المسلمين وإثارة الفتن بينهم.

٥- قتل الخليفة الراشد الرابع المهدي علي رضي الله عنه.

٦- نشأة الأحزاب والتفرقات.

٧- قتل المسلمين والمعصومين.

وهم هكذا عبر التاريخ كما قال رسول الله ﷺ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ»[١].

قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الخوارج كانوا يقاتلون المسلمين ويدعون قتال الكفار،

---

[١] رواه البخاري (٣٣٤٤).

وهؤلاء أعانوا الكفار على قتال المسلمين وذلوا للكفار، فصاروا معاونين للكفار أذلاء لهم، معادين للمؤمنين أعزاء عليهم»[١].

وفي سنة ٦٨ هـ يصف لنا ابن كثير إجرام الخوارج فقال ﷺ: «وقد رِكب عمر بن عبيد الله بن معمر في آثارهم، فبلغ الخوارج أن مصعبًا أمامهم وعمر بن عبيد الله ورائهم، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ويبقرون بطون الحبالى ويفعلون أفعالًا لم يفعلها غيرهم»[٢].

فهذا المقال مهم لربطه بواقع الخوارج المعاصر الذي سيكون الكلام عنهم في المقال التّاسع.

[١] درء تعارض العقل النقل (١٣٩).

[٢] البداية والنهاية (٨/ ٣٢٣).

سلسلة كتيبات شبكة بينونة
التطرف
قديما وأضراره
@Baynoonanet
www.baynoona.net
@BaynoonanetUAE